

أضواء البيان

. @ 112

والثاني : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ } . . .

ثم بين الموجب بقوله : { الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } . . .

ثم عدد عليهم نعمه بقوله : { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآسَافَ وَالسَّيِّمَاءَ بِنَدَاءٍ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ } . . .

فهذه النعم تعادل الإطعام من جوع ، والأمن من خوف ، في حق قريش ، ومن ذلك قوله تعالى : { إِنْ زُلْزِلَ أَطْيَافُ ذَٰلِكَ الْكُوفُوتُ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْزَحِرْ } . . .
وقد بين تعالى أن الشكر يزيد النعم والكفر يذهبها ، إلا ما كان استدراجاً ، فقال في شكر النعمة : { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ } . . .

وقال في الكفران وعواقبه : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْزَعُمُ اللَّهُ فَأَصَافَهَا لِلَّهِ لِيُبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } . . .

وبهذه المناسبة إن على كل مسلم أفراداً وجماعات ، أن يقابلوا نعم الله بالشكر ، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله ، وأن يحذروا كفران النعم . . .
تنبيه آخر .

في الجمع بين إطعامهم من جوع وآمنهم من خوف ، نعمة عظمت لأن الإنسان لا ينعم ولا يسعد إلا بتحصيل النعمتين هاتين معاً ، إذ لا عيش مع الجوع ، ولا أمن مع الخوف ، وتكمل النعمة باجتماعهما . . .

ولذا جاء الحديث (من أصبح معافى في بدنه آمناً في سربه عنده قوت يومه ، فقد اجتمعت عنده الدنيا بخافيرها) . . .
تنبيه آخر .

إن في هذه السورة دليلاً على أن دعوة الأنبياء مستجابة ، لأن الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام دعا لأهل الحرام بقوله : { فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ } . . .

